السادات وحوار صامت مع مصر

عندما كان معنا على الأرض كان ذهن الزعيم السادات لا يكف عن التفكير المثمر الجاد .. ونحن نفكر بالكلمة ولذلك كانت له مقولات تنبض بالصدق والدقة .. سألته مرة عن إحساسه بعد هزيمة سنة ١٩٦٧ .. فقال أنه سجن نفسه في حجرته بمنزله بالجيزة ثلاثة أسابيع كاملة كانت من أقصى مراحل حياته فقد كان يرى بعينه ويسمع بأذنه جموعا كبيرة من الناس يحشدون فى عربات كبيرة فى طريقهم إلى ساحة الحرب وهم يصيحون بسقوط (تل أبيب) – كان السادات يعلم الحقيقة فقد انتهت حرب الأيام الستة فى ثلاث ساعات .. فما الداعي إلى خداع الناس والتضحية بأرواحهم – كان هذا يؤلمه أشد الألم فكان يصحو بالليل عدة مرات وهو يصرخ فزعا على مصر .. ولكن ماذا يفعل ؟

قال لي : نار أحزانى بسبب خديعة مصر وكل ما كان يعانى منه الناس صار وقودا للنار التي تتأجج داخلى . يزداد الوقود فتزداد النار اشتعالا وازداد أنا عذابا . أنى أرى أرواح الناس فى أكفانها ملفوفة .. ماتت من زمن وأصابها العفن .. فلم ياربى أبقيت على أجسادهم.

ومن مقولات السادات بالنسبة للنكسة أيضا ؟

" قبل الفعل كانت الكلمة والفعل كان الوسيلة والكلمة كانت الغاية ,.. والكلمة هى الحق .. ولقد فقد البشر الكلمة فى الكلام الذي كثر حتى أصبح يصم الآذان .. كلام يرفع ويخض .. يعمى ويرشد .. يعز ويذل .. يمتع ويضنى .. يضيف وينقص .. يقرب ويبعد .. ولكنه فقط يؤدى إلى مزيد من الأغلال يضعها الزمان فى عنق الإنسان .. فمن أجل الكلمة كان الفعل .. وقد ضاعت الكلمة فأصبح الفعل غاية تمشى على غير هدى .. لا تملك الخلاص من أسر الزمان ..

ويصف السادات أكثر النكسة على شعب مصر فيقول – " لم تعد بالناس رغبة فى شيء فلا يريد الواحد منهم أن يصرخ أو يكتم ألمه ولا أن يبكى ولا ان يصحو أو ينام ولا أن

يسير أو يتوقف فالسماء ليست السماء والأرض ليست الأرض والشجر ليبس الشجر والنـــاس ليسوا الناس وأنا لست أنا .. كل شيء صار ككل شيء أو أصبح لا شيء على الإطلاق.

وقبل أن تغتاله الأيدي الآثمة بيوم واحد فقط قال لى : " من من البشر يعرف مصيره؟ نحن نعيش اللحظة الحاضرة ونتوهم أنها ملك لنا نسير بها إلى حيث نشاء ولكن الحقيقة أنها هى التي تسير بنا إلى حيث لا ندرى .

وفى نفس اللقاء قال السادات : " لم يستهونى يوما بريق المتع الدنيوية ولم أحاول أن ابنى سعادتي على حساب الآخرين فانا أصدر فى كل قرار اتخذه وفى كل عمل أقوم به عـــن الإيمان الراسخ بحق الإنسان كل إنسان فى الكرامة والحرية والسلام .

وفى حديث مع الزعيم السادات قال لى : من نعم الله على البصيرة .. فانا لا أســـمح أبدا لمصر إلا أن تكون قوية .. والقوة هنا ليست قوة العضلات أو التمسك بأمور زائلة بـــل هى التمسك بالحق والشرف حتى ولو كان في هذا دماء تنزف فأفضـــل واشـــرف ان يظـــل الإنسان مرفوع الرأس وهو يدمى على أن يعيش منكس الرأس وهو يستمتع مهما كـــان هـــذا الاستمتاع " .

وفى مساء ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١ . خيل لى أنى اسمع صوت الزعيم السادات يقـــول لى ": فى حياتي على الأرض لم تكن هناك نهاية لما أريد لمصر ولم أفشل مرة فى تحقيق ما أريد .. ولكن كان بي طول الوقت ظمأ إلى شيء لا أعرفه .. كما كان هذا الظمأ يعـــذبني – يشقيني ويفسد على ما كنت أحسبه أسعد لحظات حياتي .. إلى أي شيء كان هذا الظمأ ؟ الى أن أعرف مالا أعرف .. إلى أن أرى مالا أرى .. الى أن انفصل لاتصل .. الى أن تتـــدفق مياهي كالغدير لا تتوقف ولا تعرف لم تسير .. الى أن انبلج كما ينبلج الفجر فهـــو مصـــدر الزمن والنور نفسه – الى أن أقبض على لحظة من الزمان فأبقيها وأبقى معها .. ولكن أيـــة لحظة – لم استطع أن أعرف .. كل ما أعرفه أن هذا لم يعد حالي الآن .. فلم يعد هناك مـــا احتاجه أو تحتاجه مصر منى بعد أن سلمتها أمانة فى يدي أمنية يد أبنى حسنى .

ولم يعد هناك ماض أريد أن أبقيه أو مستقبل أرغبه وأخشى أن أنتظره .

مجموعة من أهل مصر رجالا ونساء يخيم عليهم حزن عميق .

الزمن ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١ مساء

مصر (تسير فى المسرح تحدث نفسها) أنا شفت فى المنام أنى ماشية فوق صـــخر عال والدنيا حولي ظلام – إيد مسكت أيدي – بصيت لقيت جانبي إبنى حبيبي والنور فى كل مكان .. فوق الميه مشينا – أيدينا فى أيدين بعضينا وعدينا – حلم ولا علم دا كان ؟

بالأمل طول عمري باستناه .. لكن دلوقتى ماعدتش شايفاه .. ليه ؟ إبنى هجرني ملني ؟ بعد ما فى أحضانه ضمني ؟ كل ما أسأل عليه يقولوا لى ما حدش شافه – إختفى .. مات (تدخل الحشد) (بصوت مرتفع (لا ابنى ماماتشى – مش ممكن يمـــوت – مـــش ممكـــن .. أرجوكم تدورا عليه ..

رجل ١ : قلنا لك يا أمي أنهم قتلوه مصر ويقتلوه ليه ؟ عمل فيهم أية .

رجل ١ :/ ماحدش عارف السبب .. ودي المصيبة .

مصر بكبرياء وشموخ : ابنى الفلاح الأسمر

اللي بدراعه قهر القهر

وبنوره بهر العتمة

وطل الفجر

بالعزيمة هزم الهزيمة

وإلى أرض سينا

أرض من عهد مينا

عاد وبإيده رفع راية البلاد

ابنى يقتلوه ليه ؟

رجل ١ : حاقدين عليه ..

مصر ابنى ؟ إبن مصر اللي طرد الطغاة وفتح القناة

بعزيمة الأرض اللي ماتعرفش تلين

بعصارة بحضارة بنضارة آلاف السنين ابنى أنا يقتلوه ؟

رجل ٢ : اللي أعطانا كلنا – عطانا من جسمه – من عمره اللي عنده واللى ماعندوش .. كل شيء عطانا من غير ما بالسيف يضرب ولا أرض غيره ينهب عطانا عمرنا – عمر الزمان وللدنيا عطاها السلام والأمان .

رجل ٣ : وعشان كده راح أورشليم ومد ايديه بالسلام إلى من كانوا بالأمس أعداء لـــه .. وقف العالم مبهورا وكتمت الناس الأنفاس خوفا على بطل السلام فقد أدركوا فى كل مكان أنه ليس كأي إنسان .

مصر : ومع ذلك قتلوه .. ليه ياربى ليه ؟

رجل ٣ : كانوا عارفين أنه عطاء من عند الرحمن لن يجود بمثله الزمان – فأينما كان شقيقنا ابن مصر أمنا كان ينشر الحب والأمان .. يغزو القلوب ولكن لا بالحروب – يفســد ســحر الخيانة بطهره وصدقه .. بالحب صانع المعجزات بعيد الحياة إلى الكائنـــات ويغيــر دون أن يدرى معنى البطولات .

رجل ٤ : وعشان كده يا مصر يا أمنا مش عاو زين الدم اللي نزفه – دم البطل الشهيد شقيقنا يجف – عاو زينه يفضل سايل بالنهار والليل زى مية النيل .. يمشى فى أرضنا يملأها ورد وياسمين .. يصحى اللي كانوا نايمين .. يعيد الروح للي فاكرين أنهم عايشين وهم فى الحقيقة مش موجودين . السادات (داخلا) : وعشان كده استشهدت عشان الإرادة اللى إتغلبت بيهـــا على العدو تصبح إرادة كل انسان ارادة مصر فى كل مكان عشان مايبقاش فى مصـــر حـــد عامل نفسه انه عشان ماحدش فى بلدي يهدم اللى غيره بناه .

رجل ٤ : عرف الصمت لما يبقى أقوى من الكلام .. عرف السكون لما يبقـــى اقـــوى مـــن الحركة .. عرف الصبر لما يبقى اقوى من الأقدام .

السادات : واستشهدت عشان تسكت الأصوات

اللى بتزعق وتقول

ان مصر أرض خراب

وان الأمل فيها أمل فى سراب

واستشهدت

عشان من موتى تبعث

لبلدي – لأهلي – للكل

الحياة

واستشهدت

علشان نتعلم كلنا التضحية

فى سبيل أمنا

مصر (تبكى وحدها على المسرح)

هل أصابوك بسهم من سهامهم الخبيثة .. لا .. أنهم لا يســتطيعون فأنــت لا تحــس الا آلام الآخرين أه لهذا الجبين الطاهر ما أجمله إن مثلك لا تلد النساء

ومع ذلك أود لو أستطيع أن أضعك في احشائى

يا حبيبي .. أنت كالنبع صافى كالسماء لا ينقطع منه الماء منهل للجميع

تروى الصادي والظمآن

مصر (تنتحب) أبكى بساعين الجحود والنكران وأبكى الفراق الذي قد يطول بعد اللقاء

أريدك يا ابني أن لا تبتعد عنى

فبدونك لم تكن لى على الأرض

راحة أو سلام

ولا تجزع يا ولدى فأنت لا تعرف الجزع

الا لكروب الآخرين

لأنك لست كبقية الرجال

ولن تكون ..

هذه الجمرة المتقدة في صدرك

لا تنطفىء أبدآ .. فما أبهاها

www.arwesdaily.org

قبس من نور

مكانتها فى صدور بعض الرجال رماد – تراب كالذي تطأه الأقدام

الحب شانك يا أبنى – والحب

اقوى من السيف ومن الخيانة والغدر

ولكن ماذا يستطيع الحب ان يفعل فى عالم لم يعد فيه للحب مكان ؟؟

www.anwarsadat.org